Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنشأ بين المربية والطفل علاقة تشي بالحميمية والوفاء والحرارة. يذكر المؤلف صراحة (ص 8) أنها لم تكن تطيق صبرا على أن تراه «متكدرا قلقا» فقد كانت ترى فيه وحيدها ولذلك «وهبت [لي] قلبها» (ص 9)... إلخ .

إشارات متعددة تستظهر مستويات متداخلة في العلاقة بين الطفولة ودور التربية (أو الطفل والجدة). من المفيد أن نضيف إليها إشارات أخرى وردت متناثرة تتعلق بدور هذه الجدة في النصح والإصلاح (علاقته بأستاذه أحمد بن حمزة)، وفي «تخليد» النسب الأسروي الشريف الذي تتعلق به الأسرة الوزانية، وأخيرا في التغلب على ظروف (الأزمة) التي عانى منها في مقتبل شبابه وكانت فترة حاسمة في تكوين وعيه الصوفي.

إننا لا نجد بدا من اعتبار هذه الإشارات العامة بمثابة وظائف تربوية وأخلاقية يحددها وسط أسروي متشبع بالقيم الدينية. إنها ترسم العلاقة العاطفية بين المربية والشخص الذي تقع عليه عملية التربية (الطفل ابن السابعة)، زد على هذا أنها تصدر عن وسط اجتماعي (الأسرة) مؤسس وقائم وله عمقه التاريخي والنفسي والفكري، بحيث تتولى الجدة هنا، فاعل التربية، ترميزه وتشخيصه وفق أعراف تخطط للسلوك وتعمل على إنضاج الوعي وتكيف، في جميع الأحوال، أوضاع الشخصية الفردية من خلال ثلاث وظائف على الأقل: الإرشاد، التوجيه، التقويم .

إنها وظائف فعلية تعمل على تكوين المفعول فيه، كما يظهر، ارتكازا على بواعث تتوخى صقل النموذج ـ الذات، أو هذا هو المراد من كل فعل تربوي له سلطة عليا في تكوين الشخصية . إن المفعول الذي تفعل فيه هذه الوظائف بسلطة الجدة/المربية، في حالة الوزاني، يتكون تدريجيا وفق النموذج الوظيفي المعروض عليه والمؤثر فيه. ولما كانت قضية التربية تصدر عن الجدة (كإرشاد وتوجيه وتقويم)، أي عن سلطة معنوية ذات حول وقوة، فهذا يعني أن الأثر الذي تخلفه الجدة / السلطة، عملا بوظائف التربية ، ينتج مفعولا قويا يحيل الشخصية الفردية إلى « مادة » خضعت في أطوار تكوينها لمؤثرات جمة شكلتها بما هي ذات منفعلة .

فهل يعني هذا أننا نتكلم عن الوظائف التربوية ونتوخى، في علاقة مع ذلك، إظهار علائم الاستجابة الناتجة عنها في ذات الشخصية ؟ ذلك هو الحاصل، وهو ما تكشف عنه (الزاوية) في مختلف مراحلها الحكائية.

لكن القول بالوظائف التربوية الثلاث هو قول آخر بثلاثة أنواع من الاستجابة : الاستقامة، الانضباط، المثال. وهذه كلها تتولد عن عملية سابقة وقبلية سميناها